وسيلة لتحرير فلسطين، على غرار حرب العصابات.

والواقـع، لا مناص من الاقرار بأن قدراً كبيراً من الحنكة، والتبصّر، والواقعية، كان يملي على الرئيس المصري ان يقـوم، هو وليس أي زعيم أخر، باتخاذ الخطوة الجريئة، والجسورة، في اعادة اصلاح الانكسار الذي طرأ على سياق الحضور الفلسطيني منذ العام ١٩٤٨. فقد أدرك عبدالناصر ان هذه الخـطوة باتت مطلوبـة لاستدراك ومعالجة النتائج والذيول التي ترتبت على فشل مقاربته السياسية، كما ادرك أمراً آخر لا يقل أهمية، هو انه يتوجب، قبل التوصل الى تحقيق الوحدة العربية، ووضع قرار تحرير فلسطين في الامر اليومي، أقله على مستوى الخطاب السياسي، التوجه، أولاً، الى تحقيق مهمة أكثر تواضعاً، أي نقل النظام العربي من حالة «الحرب الباردة» التي تسود فيه، الى نوع من «التعايش السلمي»؛ وذلك من اجل احتواء العواصف التي بدأت نذرها تهب على المنطقة قبل ان تقتلع كل شيء في طريقها.

ان الدلالة التي اثـارهـا استخـدام الرئيس المصري لمفهوم «التعايش السلمي»، وهو مفهوم سوفياتي الصنع، لم يكن من قبيل التشبيه فقط ؛ اذ ان عبدالناصر كان بدأ هو، أيضاً، بادراك مغزى التحول الذي طرأ في الشرق الاوسط، بعد اغتيال الرئيس الاميركي جون كنيدي العام ١٩٦٣، وتولّي ليندون جونسون الرئاسة في الولايات المتحدة الاميركية. وقد جاءت اشارة الانذار في وقت مبكر، حين تم الاعلان في اسرائيل عن تحويل مياه نهر الاردن، بعد أن قامت هذه بتشغيل «الناقل القطري» لري الاراضي بالمياه[٣]. وقد كان هذا التطور الدراماتيكي دافعاً اساسياً، في ذلك الوقت، الى عقد أول قمة عربية في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤، في القاهرة؛ حيث بدأت نذر البداية الحقيقية لانفجار الحرب الثالثة بين اسرائيل والدول العربية تلوح في سماء المنطقة منذ ذلك الحين[٤].

اذن، لم يكن التهديد المنبعث من العمليات المسلحة التي بدأت «فتح» بها في ذلك الوقت هو الذي أشعـر الرئيس المصري بالخـوف والحذر، لولا ارتباط ذلك بهذين المتغيرين، على المسرحين، الدولي والشرق أوسطي. فلقد اسهم اقصاء خروتشيوف مبكراً عن الكرملين، واغتيال الرئيس كنيدي، في اجهاض أول محاولة بدأت لنقل النظام الدولي من مرحلة الحرب الباردة الى حالة من الانفراج[٥]، فيمـا دفـع الاعلان في اسرائيل عن تحويل مياه نهر الاردن بقفاز التحدي في وجه الدول العربية، والرئيس المصري خصوصاً، لاختبار جدية ومصداقية الرد العربي.

وهكذا، في ظل هذه الظروف شديدة الخطورة، قام الرئيس عبدالناصر باحداث أول تعديل على خطابـه السيـاسي. وهذا التعديل ظهر، أولاً، في اللغة التي استخدمها الرئيس المصري في مخاطبة الفلسطينيين، حين تحدث الى اعضاء الوفد الفلسطيني في قطاع غزة بأبعد من أية توقعات كانت تخطر ببال أحد، مشيراً الى عدم امتلاكه خطة لتحرير فلسطين: «ان من يقول لكم انه يملك خطة لتحرير فلسطين يخدعكم»[٦]. أما المحور الثاني الذي انصب عليه هذا التعديل، فقد اتخذ منحى عملياً، وذلك حين دفـع عبدالناصر بكل قواه لأنشاء م.ت.ف. حيث هدف من ذلك، أساساً، الى ان يضفي على القضية الفلسطينية طابع المؤسسة، لابقاء ذيول وتفاعلات القضية الفلسطينية محصورة في نطاق المؤسسة العربية الرسمية، حتى تسهل مراقبتها والسيطرة عليها. هذا هو السر الاساسي في تزاوج هاتين المؤسستين في تلك اللحظة العاصفة من خريف العام ١٩٦٤، حيث ابصرت م.ت.ف. النور، على بساط مؤتمر القمة العربي، بدعم اساسي من أكبر اقطاب النظام العربي، وبموافقة ألدّ خصوم المنظمة منـذ ذلك الوقت، وهـو الملك الاردني حسـين. لقـد فهم عبـدالنـاصر والعـاهـل الاردني وأحمـد